

7 في العمق

الاستقطابات الحزبية تضاعف
أزمة تجمع المهنيين في السودان

صراع على المناصب أم رغبة في تطوير تحركات الحكومة الانتقالية



التجاذبات تهدد مكاسب الثورة السودانية

قد يصعب تغييره لاحقا، خاصة أن غالبية القوى الأخرى صارت منهكة في تصفية حسابات داخلية مرهقة، ولا يخلو حزب أو حركة من انشقاقات تصف به، وفي هذه الأجواء من السهولة بلورة رؤية سياسية للاختلاف.

تستخدم في الحرب الدائرة داخل التجمع كل الأسلحة، فإذا كانت القوى الراضية للشيوعي ترفض هيمنته وتقدم حججا وأسانيد تعزز موقفها، وجهت قيادات في الحزب انتقادات لقوى رئيسية في الحرية والتغيير بشأن دفاعها عن مصالح شخصية، وسلب عدد كبير من القواعد الوزارية لأنصارها، والسعي لبيسط يدها على حكام الولايات، حيث تأجل قرار تعيينهم لخلافات حول الحصص، كما أن جانباً من تفرقت تعيين أعضاء المجلس التشريعي يعود للسبب نفسه، ولذلك دخلت الخلافات خندقاً يقلل من فرص التفاهم على أرضية الثورة.

العدو الخفي

تساعد التجاذبات التي تعتمل داخل تجمع المهنيين، ومن ثم قوى الحرية والتغيير، على فهم جانب من المشكلات التي عطلت إحراز تقدم في الكثير من القضايا المحورية، وأوحت بأن الهوة بعيدة بين الحكومة والقوى الداعمة لها، الأمر الذي تستغله جهات تريد تعظيم مكاسبها خلال الفترة الانتقالية، وتثبتيها كي تستمر معها إلى ما بعد تجاوزها، وأخرى تنتهز الفرصة للقفز على السلطة، وفي مقدمتها فلول النظام السابق الذين تساهم الخلافات بين قوى الثورة في تقوية شوكتهم في الشارع.

تتبع الأزمة من عدم وفاء الكيانات التي يتشكل منها التجمع بتعهداتها، حيث اتفقت منذ البداية على استقالته وعدم تسخيرها لصالح أي حزب، والحرص على أولوية دعم الحكومة، وما حصل لاحقا مضى في مسارات عنوانها، تغليب المصالح الشخصية والحزبية على الوطنية.

أصبح تجمع المهنيين منقسما الآن إلى جزء يطالب بالحفاظ على جسم الحرية والتغيير ويدعم حكومة حمدوك، وآخر يدعو إلى الإطاحة بهما، وتحميلهما أسباب الإخفاقات طوال الفترة الماضية، وهو ما يقود إلى المزيد من التعميق، في وقت تستعد فيه السلطة الانتقالية لاستقبال بعثة سياسية من الأمم المتحدة للإشراف على تهيئة الأجواء بما يفيده في حل الأزمات المتركمة، وإيجاد واقع يسهم في الانتقال الديمقراطي الناعم.



تجمع المهنيين أصبح منقسما الآن إلى جزأين واحد يطالب بالحفاظ على جسم الحرية والتغيير ويدعم حكومة حمدوك، وآخر يدعو إلى الإطاحة بهما وتحميلهما أسباب الإخفاقات طوال الفترة الماضية

أقر تجمع المهنيين السودانيين، أحد أبرز مكونات الحراك الشعبي ضد الرئيس المعزول عمر حسن البشير، بوجود أزمة داخل صفوفه على خلفية اختيار أعضاء أمانة عامة جديدة للتجمع لم تحظ بتوافق داخلي. ومن شأن الخلافات السياسية أن تلقي بظلالها سلبا على تماسك الحكومة، فيما ستسعى بعض الأطراف، وفي مقدمتها فلول النظام السابق، من أجل استثمار حالة التصدع داخل التجمع لتقوية شوكتها في الشارع.

مارس الماضي، لكن النار اشتعلت فعلا في جسم التجمع مع رفض ستة من الأقسام المهمة فيه للعملية الانتخابية الأخيرة، وهم: لجنة الأطباء، والتحالف الديمقراطي للمحامين، وتجمع المهندسين، والبيئة، والموارد البشرية، والعالمين في الأرصاء الجوية، حيث طالب هؤلاء بـ"تكوين قيادة تسييرية توافقية تتولى عقد مؤتمر تداولي للتجمع خلال 3 أشهر".

وصلت الاتهامات إلى التلويح بأن إبعاد الكثير من القيادات التاريخية للتجمع التي قادت الثورة وعانت في سجون النظام البائد، تمت لأنهم لا ينتمون إلى الحزب الشيوعي، وجرت المهمة عبر انتخابات كان هدفها منح عملية الانتقال السلمي في جسم التجمع مصداقية وجاذبية سياسية.

رفضت السكرتارية الجديدة لتجمع المهنيين الاتهامات ما يتردد بشأن اختطاف الكيان على يد قوى حزبية واعتبرت ذلك "فريسة مردودة"، وأن الانتخابات جرت في أجواء مؤسسية منضبطة، أنهت اختطاف التجمع على يد مجموعة صغيرة.

تعطيل الثورة

تشكل تجمع المهنيين قبل نهاية عام 2018، وتحول إلى قائد للحراك الثوري في ديسمبر من العام التالي في الدمازين والفاشر وعطبرة، ثم انتقل نشاطه إلى غالبية الولايات، وكان موكب الخرطوم في 25 ديسمبر، أي قبل بضعة أشهر من سقوط نظام البشير، لفت الانتظار من خلال طريقة التنظيم والتوجهات السلمية، بعدها بدأ يعرف أن هناك جسما للتجمع وقيادات، أصبحت من أهم مكونات تحالف قوى إعلان الحرية والتغيير التي دخلت في مفاوضات مع المجلس العسكري حتى توقيع الوثيقة الدستورية في أغسطس الماضي.

أكد الأضمر في مؤتمر صحفي السبب أن التيار الحزبي حاول تجيير التجمع عبر إصدار بعض المكونات بيانات تهاجم نشاطه، وحاول التيار المهني الحزبي فرملة عمل الثورة برفضه عملية السلام الجارية في جوبا، وأسهم في تجميد عضوية التجمع في لجنة تفكيك نظام البشير، لافتا إلى أنهم

20 عاما على رحيل حافظ الأسد: من ربيع دمشق إلى جراح الحرب

وباعت محاولات الأسد الذي استقبله الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي عام 2008 وشكلت زوجته أسماء محط أنظار الإعلام الغربي الذي أسهب في وصف انانقتها وثافتها، لجعل سوريا أكثر قربا من الغرب، بالفشل.

وبعد قزاعه للتظاهرات السلمية التي تحولت نزاعا داميا تسبب بمقتل أكثر من 380 ألف شخص منذ العام 2011 وأدى إلى نزوح وتشريد أكثر من نصف السكان داخل سوريا وخارجها، طالبت دول غربية وعربية برحيل الأسد عن السلطة ودعمت معارضيه، لكنها تخلت لاحقا عن هذا المطب بعدما ركزت جهودها على التصدي للتنظيمات الجهادية.

وتلاحق نظام الأسد عقوبات قاسية أنهكت اقتصاده، وسيدخل آخرها ويُعرف باسم قانون قيصر حيز التنفيذ الأسبوع المقبل. وقد أقره الرئيس الأميركي دونالد ترامب.

ويعيش اليوم الجزء الأكبر من السوريين تحت خط الفقر، وتشهد الليرة السورية انهيارا غير مسبق ومتواصل أمام الدولار يؤدي إلى تآكل القدرة الشرائية للسوريين الذين خرج العشرات منهم في مدينة السويداء (جنوب) في اليومين الأخيرين إلى الشارع تعبيرا عن غضبهم مطلقين شعارات مناوئة للأسد.

وفي موازاة ذلك، لا تزال مناطق عدة في شمال شرق سوريا وشمال غربها خارجة عن سيطرة القوات الحكومية.

مدین للخارج

بعد أكثر من تسع سنوات من الحرب، تمكن الأسد من الاحتفاظ بالسلطة وتسيير قواته على أكثر من سبعين في المئة من مساحة البلاد بفضل الدعم الرئيسي من حليفين أساسيين هما إيران وروسيا، إلا أن بلباده تحولت ساحة للتناقص بين قوى دولية.

ويقول عيتاني "تراس حافظ الأسد دولة مستقرة سياسيا وأمنة للغاية، حتى لو كانت فقيرة أيضا".

وشكلت دمشق في عهده لاعبا استراتيجيا على المستوى الإقليمي، سهلت انخراط حزب الله بواجهة إسرائيل ومارست وصاية في لبنان على مدى سنوات طويلة.

وطيلة ثلاثة عقود، بقيت سوريا قوة مهيمنة على المستوى العسكري في لبنان وتحكمت بكافة مفاصل الحياة السياسية حتى انسحابها عام 2005.

وفي مقارنة بين التوجهات الخارجية للنظام السوري بين حافظ الأسد ونجله، يلاحظ أن الأسد الأب "أبقى دائما على سوريا مستقلة عن التدخل الأجنبي"، فيما "أصبح بشار مدينا للتفوذ الخارجي من أجل الحفاظ على نظامه سليما".

وقبما يتوقع أن تغرق سوريا في مزيد من الفقر في المرحلة المقبلة، كشف الصراع الأخير بين رجل الأعمال البارز رامي مخلوف، ابن خال الرئيس السوري، والسلطات التي تطالبه بتسديد مبالغ مالية وحجزت على أمواله تصدعا جديدا في دائرة الأسد الاقتصادية، لكن ذلك لن يغير من موقع الأسد حسب المتابعين.

ويخلص عيتاني بالقول "يشبه بشار حافظ في منابرتة وقدرته على إبقاء قلب النظام سليما، لكنه ليس كفوا ولا محظوظا كما كان والده".

بيروت - عند وفاة الرئيس السابق حافظ الأسد أمل السوريون بتغيير مع تبوء نجله الشاب سدة الرئاسة، لكن بعد عشرين عاما يرأس الرئيس الحالي بشار الأسد بلدا معزولا مرقته الحرب وأنهكته العقوبات الاقتصادية.

وتسلم الأسد الابن (55 عاما)، طبيب العيون الذي تخصص في بريطانيا، مقاليد السلطة بعد شهر من وفاة والده في 10 يونيو 2000. وتم ذلك بعد تعديل دستوري خفض سن الترشح من أربعين إلى 34 عاما.

الأسد الأب أبقى دائما على سوريا مستقلة عن التدخل الأجنبي، فيما أصبح بشار مدينا للتفوذ الخارجي من أجل الحفاظ على نظامه

وبدا حينها الرئيس الشاب بمظهر الإصلاح الذي يخطط لتحرير الاقتصاد والانفتاح بخجل على الغرب، إلا أن هذه الصورة تبدلت تدريجيا خصوصا بعد احتجاجات شعبية ضد في منتصف مارس 2011 قمعتها قوات الأمن بالقوة، وما لبثت أن تحولت نزاعا داميا تعدت أطره.

ويشير الباحث في مركز السياسة العالمية فيصل عيتاني إلى أنه حين تبوأ الابن السلطة "ساد الكثير من القلق، فسوريا لم تكن قد شهدت قط انتقالا سلميا للسلطة منذ عقود، لكن ذلك سرعان ما تبدد مع تسلمه الحكم وعكسه هالة الحدادة والشباب والانفتاح".

وشهدت سوريا بين سبتمبر 2000 وفبراير 2001 فترة انفتاح وسمحت السلطات نسبيا بحرية التعبير. ودعا نحو مئة من المثقفين والفنانين السلطات إلى "اللعو" عن سجناء سياسيين وإلغاء حالة الطوارئ السارية منذ 1963.

لكن توقيف عشرة معارضين صيف العام 2001 وضع حدا لـ"ربيع دمشق" القصير الأمد والذي جاء بعد أربعين سنة من حكم الأسد الأب بيد من حديد.

ويوضح الخبير في الشأن السوري في جامعة جورج تاون دانيال نيب أنه "في بلد لم يشهد انفتاحا سياسيا أو اقتصاديا هائلا، بدا وكان وصول بشار إلى الرئاسة يعد بإصلاح طال انتظاره".

ويضيف "اختلف بشار تماما عن الشخصيات الأخرى في النظام، فقد كان شابا وتلقى تعليمه في الخارج".

وكان الأسد الأب بعد ابنه البكر باسل لخلافته، لكن وفاته في حادث سيارة عام 1994 غيرت المعادلة.

خيبة كبيرة

لم يدم التفاؤل طويلا، و"سرعان ما ماتت فكرة بشار اللبرالي"، بينما "كانت خيبة الأمل الكبيرة على المستوى الاقتصادي" بعدما "تبين أن اقتصاد السوق الاجتماعي الذي مارسه هو عبارة عن صيغة للفاسد الجشع وسط الدائرة القريبة منه".

وتسبب ذلك "بتعميق التفاوت الاقتصادي، ووقع كثيرون من الطبقة المتوسطة وسكان المناطق الريفية في فقر مدقع".



نظام حكم سوريا بقبضة من حديد